٥٨
رؤيا

[الطويل]

زَهـا جِـسْـمُ لَـيْـلَـى فـي الـثِّـيـابِ تَـنَـعُّـمـاً
فـيـا لَـيْـتَـنـي لـو كُـنْـتُ بَـعْـضَ بُـرُودِهـا(١)
أَفـي الـنَّـومِ يـا لَـيْـلَـى رَأَيْـتُـكِ أَمْ أَنـا
رَأَيْـتُـكِ يَـقْـظـانـاً فَـعِـنْـدي شُـهُـودُهـا(٢)
ضَـمَـمْـتُـكِ حـتَّـى قـلْـتُ: نـاري قـدِ انـطَـفَـتْ
فـلـم تُـطْـفَ نـيـرانـي وزِيـدَ وَقُـودُهـا(٣)

٥٩
شكوى

[الطويل]

فَـيَـا قَـلْـبُ مُـتْ حُـزْنـاً ولَا تَـكُ جَـازِعـاً
فَـإِنَّ جَـزُوعَ الْـقَـوْمِ لَـيْـسَ بِـخـالِـدِ(٤)
هَـوِيْـتَ فَـتـاةً نَـيْـلُـهـا الـخُـلْـدُ فـالـتَـمِـسْ
سَـبـيـلاً إلـى مـا لَـسْـتَ يَـوْمـاً بـواجـدِ(٥)

---

(١) زها: افتخر وتكبّر. برودها، مفردها برد: ضرب من الأكسية السوداء. ترف ليلى يبدو من لباسها الثمين، إنها تتمايل دلالاً فيبدو جسدها جميلاً مثيراً، فيتمنّى الشاعر لو كان بعضاً من ثيابها.

(٢) يتوحّد الحلم والواقع في نظر الشاعر، لذا فهو لا يدري إذا ما كان ذلك في الحقيقة أم في المنام، فهو فقط شاهد الرؤيا.

(٣) ضمَّ الشاعر حبيبته في الحلم حتى ظنّ أن لهيب نار حبّه قد خمدت وما إن تركها حتى انتهى الحلم وعاد إلى الواقع فعاد اللهب إلى ما كان عليه بل ازداد.

(٤) و (٥) يوجّه الشاعر كلامه إلى قلبه ويطلب منه أن يموت حزناً؛ فالموت يثير خوفاً لدى الضعفاء، فلا تخف؛ فالخوف لن يكون سبب خلود المرء. لقد علقت بغادة لا أستطيع الحصول عليها في عالم الحياة الزائلة بل سيكون ذلك في عالم الخلود في الجنة. فعليك أن تسلك طريقاً تؤدي بك إلى لقائها ذات يوم.

هَـويـتَ فَـتـاةً كَـالـغَـزَالَـةِ وَجْـهُـهـا
وكَـالـشَّـمْـسِ يَـسْـبِـي دَلُّـهـا كُـلَّ عَـابِـدِ[١]
وَلِـي كَـبِـدٌ حَـرَّى وَقَـلْـبٌ مُـعَـذَّبٌ
ودَمْـعٌ حَـثِـيـثٌ فـي الـهَـوَى غَـيْـرُ جـامِـدِ[٢]
وآيَـةُ وَجْـدِ الـصَّـبِّ تَـهْـطَـالُ دَمْـعِـهِ
ودَمْـعُ الـشَّـجِـيِّ الـصَّـبِّ أَعْـدَلُ شـاهِـدِ[٣]
عـلـى مـا انْـطَـوَى مِـنْ وَجْـدِهِ فـي ضَـمِـيـرِهِ
عـلـى الآنِـسَـاتِ الـنَّـاعِـمـاتِ الْـخَـرائِـدِ[٤]
فـيـا لَـيْـتَ أَنَّ الـدَّهْـرَ جَـادَ بِـرَجْـعَـةٍ
وهَـيْـهـاتَ، إِنَّ الـدَّهْـرَ لَـيْـسَ بِـعَـائِـدِ[٥]
إِلَـيْـكَ فَـعَـزِّ الـنَّـفْـسَ واسْـتَـشْـعِـرِ الأَسَـى
فَـحُـبُّـكَ يَـنْـمِـي زَائِـداً غَـيْـرَ بَـائِـدِ[٦]

(١) أحبّ الشاعر فتاة رقّتها رقّة الغزالة وتناسق جمالها، ووجهها بديع جميل، فإذا أطلّت فإطلالها إطلالة الشمس بنورها وإشراقها ودفئها، حتى من كرس نفسه لعبادة خالق السموات والأرض جعلته أسير جمالها واستعبدته.

(٢) إنّه ذات كبد ملتهبة المشاعر، وقلب استحوذ عليه العذاب، ودمع سيله لا يعرف التوقّف ولا يجمد بسبب عشقه حبيبته.

(٣) ما يدلّ على حبّ الشاعر وصدقه في ذلك دمع غزير، فدمع المحبّ دلالة شاهدة صادقة على ما يعانيه من بؤس وعذاب في حبّه.

(٤) الخرائد، واحدها خريدة: الفتاة الحييّة البكر. حبّ الشاعر لليلى جعله يحبّ بني جنسها ممّن تتمثل فيهن صفات حبيبته؛ فهو يخفي حبًّا معذِّباً في حناياه لها.

(٥) يتمنّى الشاعر لو أن يجود الزمن بعودة الأيام الخوالي السعيدة، ولكن التجربة أثبتت له أن ذلك محال، وهنا يكمن سرّ تعاسته.

(٦) يحاول الشاعر أن يكون منطقياً وأن يستسلم لواقعه، فعليه أن يجد سبيلاً للعزاء وتسلية نفسه عمّا يعانيه من الألم، والمشكلة لديه أنّه ينمو باطراد ولن يفنى أو يضمحلّ.

وَقَـدْ شَـسَـعَـتْ لَـيْـلَـى وَشَـطَّ مَـزارُهَـا
وغَـيَّـرَهـا عَـنْ عَـهْـدِهَـا قَـوْلُ حَـاسِـدِ[١]
فَـيَـا أَسَـفـا حَـتَّـامَ قَـلْـبِـي مُـعَـذَّبٌ
إلـى الـلَّـه أشـكـو طُـولَ هـذِي الـشَّـدَائِـدِ[٢]

٦٠
نسيت يوم معادي

[الكامل]

يَـا مَـنْ شَـغَـلْـتُ بِـهَـجـرِهِ وَوِصَـالِـهِ
هِـمَـمَ الـمُـنَـى ونَـسِـيـتُ يَـوْمَ مَـعَـادِي[٣]
والـلَّـه مَـا الْـتَـقَـتِ الْـجُـفُـونُ بِـنَـظْـرَةٍ
إِلَّا وَذِكْـرُكَ خـاطِـرٌ بِـفُـؤادِي[٤]

٦١
البيعة الخاسرة

بينما كان يرعى ماشيته مسترسلاً مع هواجسه وذكرياته، التقى رجلين صادا ظبياً وقيّدا قوائمه ليبيعاه عند عودتهما إلى الحاضرة. فدنا منهما متأملاً الظبي فسَرَحَتْ من عين الظبي دمعةٌ أثارت كوامِنَ حبّه

(١) شسعت: بعُدت. شطّ مزارها: ابتعد. والذي حمل ليلى على البعد حتى صعُب عليّ مزارها وحوّلها عمّا عرفته فيها قول حاسد، فأوقع بيني وبينها.
(٢) يأسف الشاعر لما حلّ بساحته؛ فقلبه أضناه العذاب، لذا يشكو حاله إلى خالق السموات والأرض ما نزل به من المصائب الشديدة.
(٣) يوجّه الشاعر كلامه إلى من استحوذ على تفكيره رغم هجرها له، وعمل الشاعر الحثيث على وصاله ممّا أنساه مصيره المحتوم يوم الميعاد.
(٤) يقسم الشاعر باللّه العظيم أنه يذكره حتى عندما تلتقي نظرات الحبّ، فإنّ قلبه يستشعر خشية اللّه تعالى.